سلسلة تفريغات شبكة بينونة

# مسائل في القضاء والقدر

الشيخ حامد بن خميس الخنبشي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net
من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم محاضرة

بعنوان

# [مَسَائِلُ فِي القَضَاءِ وَالْقَدَرِ]

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

## حَامِدْ خَمِيس الجَنيبِي

-حَفِظَهُ الله-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فنجتمع هذه الليلة المباركة للكلام حول مسائل تتعلق بالقضاء والقدر الذي هو أصلٌ وركنٌ من أركان الإيمان بالله سبحانه، ومن الأركان بدين الإسلام الذي بعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو من المسائل العظيمة التي قد يحصل فيها لبسٌ عظيم.

ولذلك قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "فإن أهمُّ ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلًا عن الفاضل الجليل: ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسمى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان التي يُرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها؛ فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمِّنٌ لنهاية الحكمة، وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54]". انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

**ولعظم شأن ومنزلة القضاء والقدر**: جاءت نصوص الشرع من الكتاب والسنَّة بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وذلك أن الإيمان بالقضاء والقدر كما جاء فيما ذكرناه من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هو أحد أركان الإيمان، وهو قاعدة أساس الإحسان التي يُرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها.

وذلك أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الخالق سبحانه لكل عباده، وهو سبحانه الذي خلق أرزاقهم وأقواتهم وقدَّرها سبحانه، وهو الذي كتب مقاديرهم قبل خلق السماوات والأرض، فهو الذي يُصرِّف أمورهم ويدبرها، وهو الذي يتولَّى شئونهم سبحانه، فالقدر فعل الله ، وسيأتي مزيد كلام في ذلك.

❐ **والواجب على أهل الإيمان**: أخذ العقائد من الكتاب والسنَّة، وتجنُّب الخوض فيها بالآراء والظنون، فإن هذا من أعظم أسباب العصمة من الزلل، ومن أعظم أسباب دفع الشبهات والشهوات، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:7].

❐ **والواجب مع ذلك**: الرجوع إلى أقاويل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فهم الذين أخذوا هذا الدين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتعلموا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لهم وما عليهم، وما أوجبوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في أعناقهم من الإيمان بشرائعه، وما دلَّ عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من ذلك: بالهدى والحق المبين.

❐ **وكذلك الواجب على أهل الإيمان**: الرجوع إلى أقاويل العلماء الربانيين، الذين أخذوا بنصوص الكتاب والسنَّة، وعملوا بها، وتعلَّموها، وعلموها، ورفعهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها، فكانوا في ذلك في أعلى المراتب والمنازل، وبهذا يكون العبد سالمًا من الفتنة، سالمًا من الزلل، سالمًا من الخلل، ولا يأمن العبد أن يقع في زلَّةٍ تسلب عليه دينه، وإيمانه بربه.

وحينما نذكر القضاء والقدر، فإننا نقصد بذلك: الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب مقادير الأشياء في الأزل، مع علمه سبحانه بوقوعها في أزمنةٍ مخصوصةٍ وأماكن مخصوصة قبل كتابتها، فشاء أن تحصل على وفق مشيئته وخلقه.

**نقول: المقصود**: هو الإيمان بالقضاء والقدر، وذلك بأن يؤمن العبد بأن الله سبحانه كتب مقادير الأشياء في الأزل مع علمه سبحانه بوقوعها في أزمنةٍ مخصوصةٍ وأماكن مخصوصة قبل كتابتها، فشاء أن تحصل على وفق مشيئته وخلقه.

☜ **وقد اختلف أهل العلم في القضاء والقدر: هل هما بمعنًى واحد أو بمعنيين مختلفين؟**

على أقاويل، كما اختلف أهل العلم ممن فرَّق بينهما -بين القضاء والقدر- في ذكر أيهما يكون سابقًا للآخر، هل يسبق القضاء القدر، أو يسبق القدر القضاء؟ وهذا الاختلاف بين أهل العلم، إنما هو في تعريف القضاء والقدر، بعد اتفاق أهل السنَّة على أصول الاعتقاد في مسائل القضاء والقدر، وانحصر خلافهم في تعريفات القضاء والقدر.

■ **<u>والأقرب من تلك الأقاويل</u>**: أن القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ أي المقصود بقولنا: إذا اجتمعا افترقا؛

- أي إذا ذُكر القضاء مع القدر في سياق الكلام، فإن كلًّا من اللفظين له معنًى مختلف عن الآخر.
- وأما إذا ذُكر أحدهما في السياق فقط، كأن يذكر القضاء وحده، فيكون هذا اللفظ جامعًا للمعنيين: لمعنى القضاء، ومعنى القدر.

وهو ما ذكرناه من الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه كتب مقادير الأشياء في الأزل مع علمه سبحانه بوقوعها في أزمنةٍ مخصوصة وأماكن مخصوصة قبل كتابتها، فشاء أن تحصل على وفق مشيئته وخلقه.

◄ **والقضاء في اللغة**: هو الحكم والإحكام والإلزام، وجمعه أقضية.

**وأما في الشرع**: فالقضاء هو ما يحكم به الله سبحانه من أفعاله أو أفعال الخلق.

◄ **وأما القدر**: فهو من التقدير، والمراد به: مقياس الشيء، وجمعه أقدار.

**ومعناه في الشرع**: ما كتبه الله سبحانه على عباده في الأزل، وعلى هذا فيكون القدر أعم من القضاء.

والإيمان بالقضاء والقدر واجب شرعًا بل هو ركنٌ من أركان الإيمان، لا يصح إسلام العبد إلا بالإيمان به.

- قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:49].
- وقال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:2].
- وقال الله سبحانه: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:38].
- وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ [طه:40].
- وقال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:34].
- وفي حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].
- وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»[2].

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 30) برقم: (9)
(2) - أخرجه الترمذي (2144)

- وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 48-49].
- وقال محمد بن كعب القرظي: لما تكلم الناس في القدر، نظرت فإذا هذه الآية أُنزلت فيهم: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 47-49].

ونشأة الضلال في باب القضاء والقدر كانت في زمن وجود أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بعض الجهلة الذين لم يدركوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتكلموا في هذا الباب بما لم يعلموا معناه ولم يفهموا تأويله، فخاضوا فيه بما استوجب إنكار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليهم وبراءتهم مما اعتقدوه.

**وكان سبب ذلك أمور**؛ منها: الجهل بحقيقة صفة العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

- إما على سبيل الشبهة.
- وإما على سبيل الهوى.

وهذا قد حصل من غير واحد من الناس الذين لم يتصوروا معنى صفة العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والناس في ذلك كانوا على طائفتين:

- فمنهم من كان إذا أَشكل عليه شيء أتى إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألهم عنه، فيُبيِّنون له الحق في ذلك.
- ومنهم من كان يتأوَّل القرآن والسنَّة على غير علم.

وقد ورد عن ابن الديلمي أنه قال: "أتيت أُبيَّ بن كعب، فقلت له: وقع في نفس شيءٍ من القدر، فحدِّثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: "لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه، عذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحُد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مِتَّ على غير هذا لدخلت النار".

قال ابن الديلمي: "ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدَّثني عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ذلك".

**وأما الطائفة الأخرى**: فأخذوا يتأوَّلون القرآن على غير مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلى غير مراد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فعن يحيى بن يعمر أنه قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجُهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدٌ عن يمينه والآخر عن شمال، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلنا ناسٌ يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر".

ثم قال: "حدثني أبي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ،

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1] الحديث

فهذا الذي كان عليه الطائفة الأخرى كانوا يتكلَّمون في هذا الباب من غير علمٍ منهم بما أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بردِّ الأمر إلى كتابه وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإلى أهل العلم، فحصل منهم الزلل والخلل في هذا الباب، ولو أنهم علموا أن الكلام في القضاء والقدر هو من المسائل العظام التي قد يحصل فيها لبسٌ عظيم.

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإمساك عن الخوض في القضاء والقدر، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إِذَا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا»[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نتنازع في القدر، فغضب واحمرَّ وجهه حتى كأنما فُقِأَ في وجنتيه رمان، فقال: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَتَنَازَعُوا فِيهِ»[3].

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 30) برقم: (9)
(2) - أخرجه الطبراني في "الكبير" (10 / 198) برقم: (10448)
(3) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (4 / 11) برقم: (2133)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ»[1].

❍ **والمقصود هنا**: هو النهي عن الخوض في القدر دون علم، أو بالأوهام والظنون، أو بالباطل، أو على سبيل التنازع، فإن القدر كما يقول أهل العلم: هو سرُّ الله تعالى، وفيه من المسائل التي حجبها الله عن خلقه؛ كالشقاوة والسعادة، والضلال والهداية، ونحو ذلك، وهذا من العلم الغيبي الذي غيَّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علمه ومعرفته عن جميع خلقه، فكان الواجب في ذلك: ردُّ الأمر إلى الله وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختلفت أقاويل أهل العلم في أو من تكلم بمخالفة ما عليه الكتاب والسنَّة، وما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل العلم في باب القضاء والقدر؛

- فقيل: إن أول من تكلم بذلك هو مَعْبَد بن عبد الله بن عوين الجهني البصري.
- قيل: إنه أول من تكلم بالقدر، وكان الحسن البصري قد نهى الناس عن مجالسته.
- وقيل: إنه كان أول من تكلم بالبصرة لا بغيرها.
- وكذلك قيل: إن أول من تكلم بالقدر؛ يعني بمخالفة ما عليه الكتاب والسنَّة، وما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قيل: إنه رجل من العراق يقال له: سوسن كان نصرانيًّا فأسلم.
- وقيل: إن معبدًا الجُهني أخذ عن سوسن القول بالقدر.

---

(1) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (1 / 63) برقم: (85)

وقد جاء عن ابن عُلَيَّه أنه قال: "كان ابن عون يقول: أمران أدركت الناس وليس فيهم منها شيء من كلام هذه المعتزلة والقدرية، وكان أول من تكلم في القدر سيسويه، وقد يقال: إن سيسويه هذا هو نفسه سوسن الأسواري، قال: وكان حقيرًا صغير الشأن، ثم تكلَّم معبَد، وتكلَّم رجل من أهل كذا في المسجد، وكان القائل يقول: إن معبدًا ليتكلم بشيء ما ندري ما هو، ثم رُفض -يعني معبد-".

ولا شك أن نفي القضاء والقدر كان موجودًا قبل الإسلام، لكن الكلام هنا على ما ورد من نشأة هذه الأقاويل وهذه المعتقدات في زمن الإسلام، ومن أعظم من تكلَّم بنفي القدر هم القدرية الذي كما جاء في حديث يحيى بن يعمر الذي مرَّ معنا، أنهم كانوا يقولون: لا قدر والأمر أُنُف، فكانوا ينكرون القدر، ويقولون: إن الأمر أُنُف؛ أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يعلم بالأشياء قبل وقوعها، وإنما يعلم بها بعد وقوعها، وهؤلاء انقسموا إلى طائفتين:

**الطائفة الأولى قالوا**: إنه سبحانه لا يعلم الجزئيات.

**والطائفة الثانية قالوا**: بأن الله سبحانه لا يعلم شيئًا قبل أن يكون ولكنه يعلمه قبل فعل العباد له، وهؤلاء هم غُلاة القدرية، فهم يقولون: إن الله لم يكتب في تقديره السابق شيئًا، وينسبون إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه يقع في ملكه ما لا يشاء، فنفوا عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صفة المشيئة وصفة العلم، بل نفوا عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سائر الصفات، لكن هذا مما بنوا عليه مذهبهم من نفي صفة العلم، وصفة الحكمة، وصفة المشيئة له.

**وأهل السنَّة يثبتون لله** سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صفة العلم؛ فهم يؤمنون بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علم ما كان وما سيكون إلى أبد الأبد، وأنه ما من شيء من حركة ولا سكنة ولا خطرة نفس إلا ويعلمها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأي لغةٍ كانت وفي أي وقتٍ كان، ويعلم أحوال العباد، وأحاديث أنفسهم وما

توسوس لهم به الشياطين، ويعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصمَّاء، بل يعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فهو لا يعزب عن علمه شيء سبحانه.

- **وهناك طائفة أخرى قالوا**: بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يجعل للعباد اختيارًا في أفعالهم، بل إن العباد ليس لهم اختيار فهم مجبورون على أفعالهم؛ فمن فعل الطاعة فهو مجبورٌ عليها، ومن فعل المعصية فهو مجبورٌ عليها، فيجلعون جميع ما يقع في هذا الكون من الأشياء مسلوبة الاختيار.

**وأهل السنَّة وقفوا وسطًا بين الطائفتين فقالوا:**

- إن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعلم الأشياء قبل وقوعها، وحال وقوعها، وبعد وقوعها، ويعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تفاصيل تلك الأشياء وصورها وصفاتها قبل أن تقع على النحو الذي ستقع به.
- وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو خالق العباد، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد خلق أفعال العباد، قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96]؛ فالعباد مخلوقون لله وأفعالهم جميعها مخلوقة.
- وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد جعل للعباد الاختيار بين الهدى والضلالة، والغي والرشاد.
- وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كل ما يقع في هذا الكون فهو يقع بعلم منه سبحانه.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أحاط علمه بالأشياء جميعها، وأحصى كل شيءٍ عددًا، قال الله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12]، وقال الله سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30].

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى له الحكمة البالغة، وجميع أفعاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى صادرةٌ عن حكمةٍ منه ولها أسباب؛ عقلها من عقلها، وجهلها من جهلها، وكل أفعال العباد والمخلوقات هي بمشيئة الله تعالى وتيسيره، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل6:5][1]

وقد جعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى للسعادة أسبابًا تُنال بها، وجعل للشقاوة أسبابًا تحصل بها، ومن أعظم الخلل والزلل: ظنُّ العبد أن الله تعالى يعذِّبه ظُلمًا، وقد ثبت عن ابن الديلمي أنه قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيء لعله أن يذهب من قلبي، فقال: **"إن الله لو عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم"**، قال ابن الديلمي: "ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل قوله، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل قوله، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثل ذلك".

ولذلك لم يصح أن تُجعل الجنة جزاءً مقابل العمل الصالح؛ لأن الأعمال الصالحة مهما كثرت ليست مقابلًا للجنة، فالجنة التي أعدَّها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى للمتقين وخلقها بيده سبحانه هي أعظم وأجلُّ من أعمال العباد اليسيرة، ولكن تلك الأعمال الصالحة هي سبب لدخول الجنة.

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (2 / 96) برقم: (1362)

وهذا هو معنى قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»[1] والمقصود أن الأعمال الصالحة هي سبب لنيل رحمة الله تعالى التي تُدخل العبد الجنة.

- **ومن تمام تعظيم الله تعالى**: اعتقاد تنزيهه عن النقائص، واعتقاد كمال فعله وكمال أمره، وأنه سبحانه يفعل بحكمةٍ بالغةٍ كاملة، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف:54]، فذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمرين:

- **الأول**: الخلق.
- **والثاني**: الأمر.

**فالخلق**: متعلِّقٌ بالقضاء الكوني.

**والأمر**: متعلِّقٌ بالقضاء الشرعي.

وأهل الإيمان لا يقفون عند القضاء الكوني بل يقفون عند القضاء الشرعي، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: "وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظُّهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه، فدينهم دين القدر"، ثم قال: "ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر؛ فهم يدينون بأمره، ويؤمنون بقدره، وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره"، لا يقولون: نحن واقفون مع مراد الله، نعم مع مراده الديني أو الكوني، ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني، ولا يكون ذلك عذرًا لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذمَّ أحدًا من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاصٍ ولا كافر.

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (7 / 121) برقم: (5673)

❍ **والفرق بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي:**

⇦ **أن القضاء الكوني**: يتعلق بما قدَّره الله سواء كان مما يرضاه أو ما لا يرضاه سبحانه، وهو كائنٌ لا محالة؛ كالموت، والمرض، ونحو ذلك من الأشياء التي تكون لا محالة، فهذه كائنة وتسمى بالقضاء الكوني.

⇦ **أما القضاء الشرعي**: فهو ما تعلق بما يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرضاه، وهو من الأوامر والنواهي التي جاءت بها شريعة الإسلام والاعتقادات، وكل ما يُتقرب به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فجميع أعمال الإيمان أحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورضيها؛ فهذا قضاءٌ شرعي قد يقع من أهل الإيمان، وقد لا يقع من بعضهم بعض ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، وقد لا يؤمن الإنسان؛ فمثلًا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23]، أي أمر ووصى بأن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا؛ فقد يقع من بعض العباد ألا يعبدوا إلا الله، وأن يحسنوا إلى والديهم، وقد لا يقع من بعضهم الآخر.

- فالقضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع.
- وأما القضاء الكوني فهو واقع لا محالة.

⇦ **ومما ينبغي التنبُّه إليه**: أن الشرور لا تُنسَب إلى فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد ثبت في [صحيح مسلم] عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[1]، والمقصود أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو خالق الخير والشر ولكن لا يُنسَب الشر إلى فعله سبحانه، فهو سبحانه منزه عن فعل الشر.

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (2 / 8) برقم: (393)

والله سبحانه له الحكمة البالغة، ومن تمام حكمته: أنه يضع الأشياء في موضعها اللائق بها، ولذلك كان الشر لا يضاف إلا إلى مقتضياته لا إليه سبحانه، ومنه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتُ»[1].

والعباد قد يحصل لهم الشر الذي لا يؤثر فيهم، وهذا الشر الذي يحصل لهم فيؤثر فيهم يكون خيرًا باعتبارٍ وشرًّا باعتبارٍ آخر، فالإنسان قد ينكح المرأة ويتزوج المرأة وهو يظنها خيرًا له، ثم يجد من سوء خلقها وعملها وفعالها ما يظهر له في نفسه أن زواجه بها كان شرًّا، **والصواب**:

- أن هذا يُنظر له باعتبار فيكون خيرًا.
- ويُنظر له باعتبار آخر فيكون شرًّا إضافيًّا لا شرًّا محضًا من كل الوجوه

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يخلق شرًّا محضًا من كل الوجوه ليس فيه خير، وهذا من دقائق المسائل، بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يخلق شيئًا شرُّه يغلب خيره، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في [شفاء العليل].

☜ **كما يجب التنبيه على قضية مهمة**: وهي أن القدر يُحتجُّ به في المصائب لا يُحتجُّ به في المعائب، وهذه قضية كم زلت بها أقدام، واستمسك بها بعض الجهلة الذين تمسكوا بمعاصيهم وذنوبهم واحتجُّوا على أهل الإيمان بفعل ذنوبهم ومعاصيهم، فكان ذلك سببًا لزيغ كثير منهم وظنِّهم أن ما حصل منهم من الذنوب والمعاصي إنما هو واقع منهم وكأنهم قد جُبلوا عليه، وهذا من أعظم الأخطاء.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ،

(1) - أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (1 / 111) برقم: (300)

وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "وأما الذنوب فعلى العبد ألا يفعلها، فإن فعلها فعليه أن يتوب منها؛ فمن تاب وندم أشبه أباه آدم، ومن أصرَّ واحتجَّ أشبه عدوه إبليس، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر:55]، فالمؤمن مأمورٌ أن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب والمعائب" انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ولما قيل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ نَعْمَل؛ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَى أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ؟ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَى»، فقال الرجل أو بعض القوم: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[2]

فمراد الصحابي: ففيم العمل؟ أي: لماذا نعمل إذا كان كل ما سنعمله هو بقضاء وقدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ فكان الجواب من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: : «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

وقد ثبت في [الصحيحين] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغٍ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: "فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يريد الخروج إلى الشام، قال: فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا؛

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 158) برقم: (3409)
(2) - أخرجه أبو داود في "سننه" (4 / 359) برقم: (4695) ، (4 / 360)

- فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه.
- وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه -يعني: أنه سيرجع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطنا واديًا له عدوتان؛ إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، قال: إن رعيتها في الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت في الجدبة رعيتها بقدر الله، فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبًا في بعض حاجته، فقال: إني عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فلاَ تَقْدمُوا عَلَيْهِ، وإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف"[1].

فكل ما يقع في هذا الكون هو بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده، وبعلم الله سبحانه وبإرادته ، ولا شيء يقع في هذا الكون إلا بعلمٍ منه سبحانه.

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (7 / 130) برقم: (5729)

**وكذلك مما يجدُر التنبيه عليه هنا أن الإيمان بالقضاء والقدر له أربعة مراتب:**

◄ **المرتبة الأولى**: هي الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علم كل شيءٍ قبل أن يكون، وهذه المرتبة تسمى مرتبة العلم، فيجب فيها الإيمان بعلم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أحاط بكل شيء علمًا، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخلق، وعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعمالهم، وعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أرزاقهم، وعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ آجالهم، وعلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حركاتهم وسكناتهم.

- قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:34]، فابتدأ الآية بذكر علمه سبحانه، واختتم الآية بذكر علمه سبحانه.

- وقال الله سبحانه: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام:59].

- وقال الله سبحانه: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:12].

- وقال الله سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:98].

فما من شيء في الأرض ولا في السماء إلا وهو يعلمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وكذلك يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشقي والسعيد، كما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَا مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، وجاء في لفظ: «كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ فَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا»[1] قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

والعبد يكتب في بطن أمه شقيٌّ أم سعيد، وهذا يكتب للعباد في بطون أمهاتهم بعد كتب ذلك في سابق الكتابة كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه هي المرتبة الأولى.

◄ **وأما المرتبة الثانية**: وهي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد علمه أمر سبحانه بكتابة مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ، فهذا الكتاب -وهو اللوح المحفوظ- كُتب فيه كل ما هو كائن؛

- قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:38].
- وقال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:70].
- وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل:75].

وثبت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: حدَّثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ -أَوْ قَيْدُ ذِرَاعٍ-، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (2 / 94) برقم: (1358)

فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ -أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ- فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» وهذا كله يثبت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كتب مقادير الخلائق وكل ما هو كائن.

وثبت كذلك في [الصحيح] عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقالَ: ومَا أَكْتُبُ؟ قالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كائِنٌ إلى قِيامِ السَّاعَةِ» وفي لفظ قال: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

☜ **هنالك مسألة مهمة وهي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كتب مقادير الخلائق في عدَّة تقديرات:**

**التقدير الأول**: هو كتابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات بخمسين ألف سنة، وهذا الحديث الذي مرَّ معنا: «أَوَّلَ ما خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقالَ: ومَا أَكْتُبُ؟ قالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كائِنٌ إلى قِيامِ السَّاعَةِ».

**وكذلك كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التقدير العمري**: وهو الذي مرَّ معنا في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَيُكْتَبُ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ».

**وكذلك كتابة التقدير الحولي**: وهو في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:4]، وهي ليلة القدر والمقصود: أن فيها يُكتب ويُقضى ما هو كائن خلال السنة.

**والتقدير الرابع**: التقدير اليومي وفيه قول الله سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29].

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 111) برقم: (3208)

**وذكر بعض أهل العلم من التقدير**: ما جاء في قصة أخذ الميثاق على بني آدم، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئِل عن قوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 172-173].

سئل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الآية، فقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عنها فقال: **إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ، قَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُ النَّارَ»**[1]

◄ **المرتبة الثالثة**: مرتبة الإرادة والمشيئة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم ثم كتب ثم شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجري كل ما في هذا الكون على وفق مشيئته سبحانه، ويحصل كل ما في هذا الكون على وفق إرادته ، فلا يقع في ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر إلا بإذنه وبإرادته.

**ولذلك جاء ذكر المشيئة كثيرًا في القرآن:**

- قال الله سبحانه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة:90].

---

(1) - أخرجه أبو داود في "سننه" (4 / 363) برقم: (4703)

- وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير:29].

- وقال الله سبحانه: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: 23- 24].

- وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6].

وقد ثبت في [الصحيح]: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سأل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: «أَلَا تُصَلِّيانِ؟» فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال عليٌّ: فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:54].

◄ **ثم بعد ذلك المرتبة الرابعة**: وهي مرتبة الخلق، والمراد بها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق كل ما سواه، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق جميع المخلوقات، وخلق أفعالهم، وسكناتهم، وحركاتهم، وخلق أفكارهم، وخطراتهم، وما توسوس به أنفسهم، قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96].

وقد ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ» والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الخلق وخلق كل ما يعملونه ويفعلونه.

فهذه أربعة مراتب هي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر التي يجب الإيمان بكل مرتبة منها، ويجب أن يعتقد المسلم كل مرتبة منها، وأن يعرف ذلك معرفة على الإجمال.

➢ **المسألة الأخيرة التي بهم نختم**: الواجب على المؤمن أن يتصور أن الإيمان بالقضاء والقدر هو من أعظم المسائل التي أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالإيمان بها، فالقدر يكون الإيمان به باعثًا على توحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو الغاية التي خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخلق، أعني التوحيد، والقدر باعثٌ عليه.

ومن علم أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يختص برحمته من يشاء، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذا عمل العباد يضاعف لمن يشاء منهم، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يؤتي الحكمة من يشاء، والحكمة هي العلم والعمل، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرزق من يشاء، وأنه سبحانه يجعل بعض عباده أهل زكاةٍ في أنفسهم كما قال: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:49]؛

**كان الواجب عليه**: أن يطلب الهدى من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن يستعين بالله على إصلاح نفسه، وإصلاح حاله، وعدم الركون إلى النفس وإلى شهواتها، ولا إلى اتباع خطوات الشيطان، وأن يُحسِن الظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على تقصيره في العمل، ويحاول الاجتهاد في ذلك إذا استطاع إلى ذلك سبيلًا، ويسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الهداية والصلاح، والبعد عن الضلالة والغواية.

وهذا الذي أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يمُن به علينا وعليكم، وأن يجعلنا من العباد العاملين العالمين، الصادقين الناصحين، إنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولي ذلك، وبهذا نختم، والله أعلى وأعلم، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

**حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية**

**ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:**

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

(( لن تتمكن من استقبال الرسائل ))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 تيك توك TikTok 】
https://tiktok.com/@baynoonanet
【 في كي Vk 】
https://vk.com/baynoonanet
【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 تشينو chaino 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 سناب شات Snapcha 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية